الإرشاد الأسري
المحاضرة الثالثة

حين أن ما يشغل بال هذا الطفل في أي موقف، أو في أي علاقة هو لمن ستكون الغلبة في النهاية؟ وعندما تقابله في حياته مواقف ضاغطة فإنه يلجأ إلى الأعراض العصابية بصورها الاندفاعية والانسحابية.

- زملة الطفل القاصر:

ومن ينطبق عليه زملة الطفل القاصر The Inadequate Child Syndrome هو طفل سيئ التوافق، ويشعر بالقصور معظم الوقت، وفي كل المواقف تقريبا. وهو قد تعود على الإحباط والفشل، لأنه يفقد مواقف غير مشبعة في الأسرة. ويصبح مع الوقت أكثر اقتناعا بأنه لن يستطيع أن يفعل ما هو مطلوبه منه. ويفقد ثقته في نفسه. وقد ينسحب إلى عالم ضيق ومحدود ويتخلى عن اهتماماته مفضلا الأساليب الهروبية.

- الطفل الذي يريد أن يصبح هاماً ليرضي الآخرين:

(The Child Who has to Become Important to Satisfy Others)

وهذه الزملة لا تختلف عن التفاعلات اللاسوية السابقة كلها. بل إن هذه الزملة تضم الطفل كبش الفداء، والطفل الضلع في المثلث غير السوي، والطفل المعمى، والطفل ضحية أسطورة الأسرة، لأن شولمان يحدده بأنه الطفل الذي غالبا ما يستغل من جانب الوالدين لكي يحقق لهما بعض الأهداف الخاصة مثل:

* أن يخفف شعور الوالدين بالوحدة.
* أن يصلح علاقات زواجية غير سعيدة ترتكز على الانهيار.
* أن يحقق رغبات الوالدين في المركز الاجتماعي.
* أن يستخدم كوسيلة لإشباع حاجة الوالدين إلى القوة والسيطرة.
* أن يستخدم كوسيلة لإشباع حاجة الوالدين إلى الضبط الخارجي والتوجيه.

القسم الثالث

الاتصال الخاطئ

في الأسرة المولدة للمرض

وعندما تفشل الأسرة في توفير المناخ الذي يساعد على تعليم أفرادها كيف يحققون التوازن بين الحاجات الاتصالية بالآخرين والحاجات الاستقلالية عنهم فإن الباب يكون مفتوحا لمختلف صور الاتصال الخاطئ، والذي ينتهي باضطراب جو الأسرة وتحويلها لبؤرة مولدة للاضطراب، بل وإصابة بعض أفرادها بالاضطراب الواضح الصريح.

وقد سبق أن ذكرنا فى بداية هذا الفصل أننا نتحدث عن مناخ الأسرة غير السوى على نحو متدرج من حيث درجة الاضطراب. وعلى ذلك فإننا سنجد فى هذا القسم أنواعا من التفاعل الأسرى أكثر اضطرابا مما تناولناه فى القسم الثانى (عمليات التفاعل غير السوى فى الأسرة). وهذه العمليات الأخيرة بدورها كانت أشد انحرافا مما جاء فى القسم الأول (المناخ غير السوى فى الأسرة).

وفى هذا القسم سنتناول أشد وأشهر التفاعلات المرضية، وهى أيضا مرتبطة بأسماء أشهر من تناولوا دور الأسرة فى نشأة المرض النفسى. وسنتحدث فيه عن: المناخ الوجدانى غير السوى، وموقف الرابطة المزدوجة، وفجاجة (عدم نضج) الوالدين، واضطراب عملية الاتصال اللغوى، إضافة إلى صور أخرى من الاتصال الأسرى الخاطئ.

أولا: المناخ الوجدانى غير السوى فى الأسرة (أكرمان)

ويصور «أكرمان» المناخ الوجدانى غير السوى Abnormal Affective Climate والذى يفشل فى تيسير تعلم أفراد الأسرة كيف يمارسون العلاقات المتوازنة Balanced Relationships تصويرا دقيقا وتفصيليا، حيث يرى أن فى مثل هذه الأسرة نوع من التناقض بين ما يبدو على السطح وما يحدث فى الداخل. فما يبدو على السطح يوحى بالهدوء والثبات والاستقرار ولكن هذا الهدوء لا يقوم على أسس قوية داخل الأسرة، وعلى نوعية العلاقات بين أفرادها، ولذا فهو هدوء وثبات يتسمان بالركود، أو هو ثبات أميل إلى التوقف والجمود منه إلى الحياة والحركة. والوالدان فى هذه الأسرة محافظان يريان أن كل شىء على ما يرام وأن الأشياء ينبغى أن تظل كما هى. وينتشر فى جو الأسرة نوع من الموت الوجدانى Affective Deadness وهو جو يصبغ المعاملات بين أفراد الأسرة بصبغة اكتئابية تتسم بالحد الأدنى من التلقائية والحيوية والحركة الحرة.

ولأن الهدوء ظاهرى ومصطنع فإنه يحدث من آن لآخر أن تمزقه بعض الثورات الانفعالية العنيفة التى تبدأ من حادث صغير تافه، ولكنها سرعان ما تجتاح الأسرة كلها. وينقلب الهدوء إلى إثارة غامرة وذعر شديد. وتسرى عدوى الثورة والتهيج بسرعة شديدة من أفراد الأسرة المفتقدين للاستقرار والأمن. وكما هبت الثورة فجأة فإنها تنطفئ فجأة، وتنحسر موجة الإثارة وتعود سيرتها الأولى، وكأن شيئا لم يحدث، ولا يتغير شىء فى الأسرة وأسلوب حياتها. ومع هذا الإنكار للحياة يقرر «أكرمان» أن المنزل يتحول إلى مكان موحش وفارغ من العلاقات الإنسانية الدافئة.

وكأنها يفقد كل شيء معناه في هذه الأسرة. فالأبناء يتفوهون بالكلمات ويعبرون عن الأفكار، ولكن بدون شعور. «ينظر كل منهم إلى الآخر ولكنه لا يراه» ومن هنا فإن العلاقات الأسرية تتعثر وتفقد كثيرا من صفاتها الإنسانية. ونجد في هذه الأسرة حرص على تأكيد فهم النفاق الكاذب والتضحية الجوفاء التي لا مبرر لها. وتركز الأسرة على بعض الأعمال الطقوسية التي لا معنى لها ولا قيمة، إلا تأكيد أعضاء الأسرة لأنفسهم بأنهم مثاليون. ويشعر أبناء هذه الأسرة بالقلق والقلب، وتسري العداوة بسهولة من واحد لآخر. وفي هذا الجو الكئيب يخاف عضو الأسرة دائما من أن يلام وأن يسب وأن يعاقب. وكدفاع ضد هذا الخوف تنمو لدى عضو الأسرة الحاجة إلى كبش فداء، وإلى إلصاق التهم بالآخرين ودمغهم بأوجه النقص.

ويشير «أكرمان» إلى أن الدافع الجنسي يرتبط بالدافع العدواني على نحو وثيق لدى أفراد هذه الأسرة ولكن الدافعين يعانيان الكبت الشديد فيسقط الفرد مشاعره السلبية والإحباطية على العالم الخارجي ويدركه عالما قاسيا غير ودي. وعلى أفراد الأسرة لكي يواجهوا هذا العالم المعادي أن يؤكدوا مبادئ الولاء المتبادل. فكل منهم يرى من واجبه أن يشجع الآخرين ويدعمهم لأنه بدون هذا التشجيع والدعم يشعر الجميع بأنهم مهددون بالهلاك (Ackerman, 1958).

ثانيا: الرابطة المزدوجة (باتسون)

الرابطة المزدوجة فرضة افترضه «باتسون» وزملاؤه (Bateson, et. 1956) وهو أحد صور الإتصال الخاطئ في الأسرة. ويفترض «باتسون» وزملاؤه أن الطفل في الأسرة مضطرب الاتصال يتعرض لرسائل متناقضة من والديه. والنموذج النمطي للمعاملة التي تخلق الرابطة المزدوجة هو أن يتلقى الطفل أمرين متعارضين. فيؤمر بأن يفعل شيئا ثم يؤمر بطريقة أخرى ألا يفعل نفس الشيء، فالأم ــ وهي الوالد الأكثر احتمالا في أن توقع طفلها في هذا الموقف ــ قد تطلب من ابنها مطلبين كالآتي:

الأول: مطلب عاطفي أو مطلب غير صريح وغير لفظي، وإنما هي رسالة موجهة إليه من خلال سلوكها العاطفي نحوه. وتحوي هذا المطلب أن يقبل إنا مطيعا ضعيفا مرتبطا بها. وهو مطلب غير لفظي وغير مباشر، ولكنه قوي وملح.

الثاني: مطلب لفظي وصريح ومباشر. ترسله الأم إلى ابنها عن طريق الأوامر اللفظية المباشرة بأن يكون شخصا ناضجا مستقلا متحملا للمسئولية غير خاضع لأحد. (كفافي ١٩٩٧، ٢٢٣).

ويبدو الأبن فى موقف الرابطة المزدوجة عندما يتلقى رسائل متعارضة من هذا النوع إلى استخدام عبارات استعارية من الناحية الأدبية، يساعد على ذلك أنه لا يستطيع أن يحدد ماذا يعنى الآخرون بالضبط، عندما يتحدثون إليه. ويكون استخدام الاستعارة — فى هذا الحال — ملجأ وملاذا له من عدم الفهم.

وتتسم الأسرة التى تخلق الرابطة المزدوجة حسب «باتسون» وزملائه، بأن الاتصالات فيها تحدث طبقا للعلاقات التى تحكمها البنية الآتية:

— الأم: يثير وجود الطفل قلقها ومشاعرها السلبية نحوه، ولذا فهى تسحب عاطفتها نحوه، خاصة عندما يستجيب لها كأم محبة. وهذه المشاعر السلبية غير مقبولة لديها، ولا تستطيع أن تفصح عنها، بل تنكر لها، وتعمد إلى تغطيتها بالإفصاح عن سلوك صريح ومبالغ فيه بالحب نحو الطفل. وعندما تحس الأم بالعاطفة والمشاعر الحميمة نحو طفلها فإنها تشعر بالقلق والتهديد مرة أخرى. ومن هنا تجد نفسها مدفوعة مرة أخرى للانسحاب بعيدا عن الطفل ولكنها لا ترضى عن هذا السلوك وتعمد إلى إنكاره، بل والاضطرار إلى إظهار العاطفة إزاء الطفل مرة أخرى، وهكذا يظل الطفل عرضة لاقتراب الأم وابتعادها مما يوقعه فى حيرة شديدة من أمره.

— الأب: وغالبا ما يكون ضعيفا وليس له حضور فعلى قوى ومؤثر فى المواقف الهامة فى تنشئة الطفل. وعدم وجود الأب القوى المستبصر الذى يستطيع دعم الطفل فى مواجهة تناقضات الأم وتذبذبها يسهم فى خلق الرابطة المزدوجة.

— الطفل: وهو الضحية فى موقف الرابطة المزدوجة، فعليه أن يحدد موقفه من الأم ومن عاطفتها، فهو إن أدرك سلوكها باعتباره يعبر عن عاطفة صادقة، واستجاب لها على هذا الأساس أثار قلقها الكبير، وبالتالى رغبتها فى الانسحاب. أما إذا أدرك سلوكها كعاطفة مثارة ورد فعل لمشاعر دفينة متناقضة، أى أن مشاعرها ليست مشاعر عاطفية أصيلة، أو أنها عاطفة مشروطة، فإنه يبتعد عنها. وعندما يفعل ذلك تدرك الأم سلوك الطفل كرسالة إليها بأنها لم تعد أما محبوبة كبقية الأمهات، فتفكر فى لوم الطفل وحرمانه كعقاب له على هذا الموقف الجاحد (Bateson, at al, 1956, 251 - 264).

ومن ملامح موقف الرابطة المزدوجة الرئيسيه أن الطفل فيه يعاقب فى كل الحالات. فإذا ما ميز بدقة مشاعر الأم وطبيعة دوافعها فإنه سيعاقب على الجحود والنكران من قبل الأم، وإذا لم يميز مشاعرها بدقة واستجاب لعاطفتها بعاطفة مماثلة فسيعاقب لأنه يثير لديها مشاعر القلق والتهديد. وهناك تصوير شائع على شكل طرفة تمثل موقف الرابطة المزدوجة وعدم قدرة الابن على النجاة من العقاب منه يذكره «مورجا تروبد، ورلف» وهو عن الأم التى أهدت ابنها ربطتى عنق، وقد أعجب الابن بكلا

الربطتين. وكان كلما لبس واحدة منهما قال له الأم: Lili لم تلبس الرابطة الأخرى التى أهديتها إليك، هل هناك سبب لذلك؟ أم أنك لم تعد تحبنى بعد؟ (Murgatroyed & Woolfe, 1985, 36).

وفى إطار موقف الرابطة المزدوجة يكون الطفل محتكرا من جانب الأم أخذا وعطاء، فهى فى حاجة إلى أن تكون مصدر العطاء العاطفى الوحيد لابنها، ولذا لا تسمح له بأن يتعلق بأحد سواها.

ويرى باتسون أن الطفل يقع فريسة للمرض عندما يتعرض التواصل بينه وبين والدته للتشويه أو التدمير. ويذهب إلى أن تحقيق التواصل بصورة صحية هو أهم وظائف «الأنا» سواء كان هذا التواصل بين الفرد والآخرين أو بين الفرد ونفسه. وعندما يفشل «الأنا» فى القيام بهذه المهمة فإن الفرد يعجز عن فهم رسائل الآخرين، كما يعجز عن بث الوسائل المناسبة إليهم فى المواقف المختلفة، بل إن الاتصال بين أفكار الفرد وأحاسيسه ومدركاته يضطرب أيضا (Bowen, 1994, 45 – 60).

ثالثا، فجاجة (عدم نضج) الوالدين
(بوين، وولمان، ليدز)

أ/ بوين:

مثل العلاقة الثلاثية التى تنشأ بين الأب والأم والطفل الذى يحدد فى الأسرة باعتباره العضو الذى يحتاج إلى رعاية أو علاج والتى تخلق موقف الرابطة المزدوجة يتحدث «بوين» – فى إطار حديثه عن المثلثات Triangles – عن علاقة ثلاثية غير سوية تحدث بين نفس الأشخاص فى الأسرة غير الناضجة Immature Family أو ما أسماها الأسرة غير المتمايزة Undifferentiated Family (Bowen, 1994). يرى «بوين» بعد دراسة وعلاج عدد كبير من المرضى، خاصة الفصاميين، أن علاقة المريض بأمه عامل حاسم فى نشأة المرض ونموه. وتحمس لنظرية الأسرة المريضة التى تذهب إلى أن المرض عند المريض ليس إلا عرضا لانحراف الأسرة. والأسرة عنده وحدة واحدة وكائن عضوى. والعضو المريض داخل الأسرة هو الفرد الذى تعبر من خلاله الأسرة عن اضطرابها.

وذهب «بوين» إلى أن نسبة الفجاجة أو عدم النضج Immaturity عند الآباء تتركز عند أحد الأبناء، وبالتالى فإن هذا الابن يكون حاملا لدرجة أكبر من عدم السواء مما هو موجود عند أى من والديه. فإذا ما استمرت عملية تزايد الفجاجة وتركيزها من جيل إلى جيل كان لابد وأن تنمو الأعراض المرضية بشكل واضح وصريح عند أحد الأبناء.

ويحدد «بوين» ثلاثة أجيال على الأقل ليظهر المرض فى أحد أبناء الأسرة (انظر شكل ٣ / ١) فالأجداد يكونون ناضجين نسبيا، ولكن درجة الضجاجة المشتركة بينهما تنتقل إلى واحد من أبنائهما، وعادة ما يكون أكثرهم ارتباطا بالأم عن بقية أخوته، أو هو بمعنى آخر هو الذى استجاب لرغبة الأم فى الارتباط الشديد بأحد أبنائها ارتباطا «تكافليا» (Symbiotic). فإذا تصادف وتزوج مثل هذا الابن من زوجة لديها درجة معادلة من عدم النضج تجمعت درجة الضجاجة عند كل من الأم والأب فى أحد الأبناء. وهذا هو الطفل «المريض» ضحية الأسرة «المريضة».

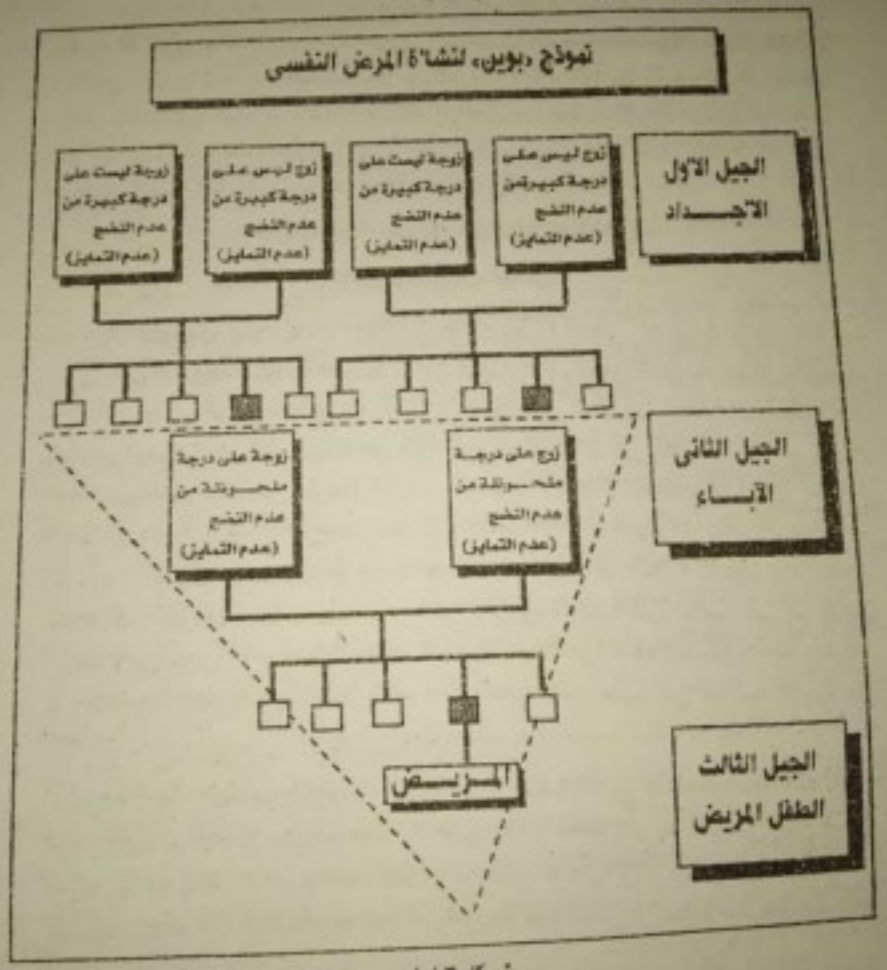

شكل ٣ / ١

ويصف «بوين» العلاقة بين الزوجين بأنها علاقة باردة بل هي أقرب إلى العلاقة التافهة العدائية في حقيقتها. ورغم أن الوالدين غير ناضجين فإنهما عادة لا يعترفان بعدم النضج بل يدعيان التوافق ويبالغ كل منهما في ذلك. وعادة ما تكون الأم أكثر مبالغة في ذلك وتسبق زوجها إلى إدعاء التوافق في الوقت الذي يقر الزوج بالعجز. وهذا التفاعل بين الزوجين يخلق علاقة سيطرة ـ خنوع، فالزوجة وهي التي تدعي عادة كما قلنا التوافق تتخذ موقف السيطرة بينما يميل الزوج إلى اتخاذ موقف الخنوع، ويكون عاجزا عن إتخاذ القرارات المناسبة في المواقف التي تعرض للأسرة. ويترك الأب المجال للأم لتسلط على جو الأسرة وتشبع حاجتها إلى السيطرة، ويسمى «بوين» التباعد العاطفي بين الوالدين بالطلاق العاطفي Emotional Divorce. وهو مفهوم آخر يمثل صورة من صور اضطراب الاتصال في الأسرة.

وتنتظر الأم مولد الطفل وتترقب وصوله ككائن بشري يستمتع إليها «ويحتاج إلى مساعدتها» وما أن تشعر بأن المولود قادم حتى تتمركز بعاطفتها نحو الطفل الذي لم يولد بعد بدلا من الزوج الذي تكون معه في حالة طلاق عاطفي بالفعل. ومن موقف التوافق الزائف والزائف تتجه إلى العناية بالطفل، حيث إنها من خلال هذه «العناية المركزة» يمكن أن تضبط وتتحكم في إندفاعاتها وفجاجاتها. ونراها تغمر الطفل بمشاعرها وتتمركز حياتها حول الطفل «وتنسى» بقية واجباتها الأسرية في سبيل «حماية الوليد الضعيف» (Bowen, et al, 1961, 40 - 86).

وتتصف الأم بالقلق والهم الزائد والتمركز الشديد حول الطفل «المريض»، وهو ما يعكس مشاعرها الخاصة والحقيقية بعدم التوافق. وسوف تلاحق مشاعر الأم بعدم التوافق مع ابنها طوال حياته. وتتركز العمليات غير السوية في الثلث المتمثل في «الأب ـ الأم ـ الابن الذي حددته الأسرة باعتباره المريض» ويكون بقية أفراد الأسرة بمعزل نسبيا عن هذه الدائرة الخبيثة.

ويمكن تصوير حالة المثلث المرضي على هذا النحو (شكل رقم ٣ / ٢).

ـ أم قاصرة Inaduqute عاجزة عن تحقيق التوافق الصحيح تعتمد إلى السيطرة على إبنها. وتفعل كل شيء لحمايته، لا وجود حقيقي لزوجها في حياتها.

ـ مريض ضعيف قليل الحيلة يهب نفسه لأمه، لأنه لا يستطيع ـ ولا تسمح له الأم ـ أن يفعل شيئا غير ذلك مما يعزز ضعفه.

ـ والد هامشي ليس له قيمة سيكولوجية حقيقية في حياة ابنه. وهذه الهامشية تشجع الابن على الارتماء في أحضان الأم والارتباط بها، لحاجته لما تقدمه له.

شكل ٢/٣

وعندما يصل هذا الطفل إلى سن المراهقة يتحول من طفل عاجز إلى راشد سيئ التوافق. وإذا أراد أن يتحرر من أمه فإنه عليه أن يواجه العالم الخارجي بدون «أناه قوى» فينتهي به الأمر إلى أن يصبح مريضا عاجزا. وتمزق الارتباطات التكافلية بين هذا الشاب وبين والدته لأي سبب من الأسباب كفيل بأن يفجر الاضطرابات النفسية بشكل صريح. بل إن الأعراض النفسية والقلق الشديد عادة ما تحسب كعلامة على أن علاقات مثل هذا الشاب بوالدته قد تعرضت للخطر أو التهديد.

ويتحدد شكل المرض حسب ظروف المريض المحيطة به. فقد يستخدم ميكانزمات ذات طابع عصابي، وبذا ينمي شخصية عصابية. وقد يجد الضعف والتوترات وسيلة للتعبير عن نفسها في الأعراض السيكوسوماتية (الجسمية النفسية) أو في الأعراض الهستيرية.

ويرى «بوين» أن تشجيع الوالد لاستقلال الابن عن الأم واتخاذه موقفا إيجابيا من زوجته من شأنه أن يحسّن الموقف. فإذا استطاع الوالد أن يتخلى عن موقفه السلبي، وأن ينهى طلاقه العاطفي مع زوجته، فإن هذا يساعد على اختفاء العلاقة التكافلية بين الابن والأم، ويفتح الطريق لشفاء المريض (Bowen, 1961, 31 - 41).

ب- «وولمان»

أما «وولمان» (Wolman 1970) فيرى أن مشاعر الفشل وخيبة الأمل التي يواجهها كل زوج في زوجه لها أثر كبير في نشأة المرض عند الطفل. فمثل هذين الزوجين لا يبحث أي منهما في الزواج عن شريك أو رفيق ناجح، وإنما يبحث عن والد عطوف في زوجه. إذن فكل منهما يتوقع أن يجد عند الآخر ما يفتقده هو، وهو ما يفتقده الطرف الآخر أيضا فيفاقد الشيء لا يعطيه. وعندما يخيب أملهما يشعران بالإحباط والضيق والفشل المرير.

وهذا الشعور عن الوالدين هو المناخ الملائم الذي تنشأ فيه الهيئات المرضية، فالأم تستدير إلى ابنها وتحيطه بحمايتها الزائدة، وتتحكم في حريته باسم المحافظة عليه. ويندر أن تسمح له بتصرف مستقل، وتضعه تحت الملاحظة الدقيقة والمستمرة. ويجد هؤلاء الأطفال أنفسهم مجبرين على أن يكونوا أطفالا «نموذجيين»، وكما تريدهن الأمهات.

والطفل في هذه الأسرة مثل غيره من الأطفال قاصرا ضعيف الحيلة، ويحتاج إلى مساعدة الآخرين، ولكنه يتحقق بعد ذلك أن هناك شيئا مختلفا بالنسبة لاعتماده على مساعدة والديه، فهو لا يجد مساعدة وإنما استجواباً. ويعيش تحت تهديد مستمر بأن يفقد حب الوالدين إذا فكر في الخروج على الإطار السلوكي المحدد له.

ويتفاعل انصياع الابن مع حاجة الوالدين إلى هذا الانصياع، وكلما أجهد الابن نفسه في إرضاء والديه، طلبا منه المزيد، وكلما أعطى لهما المزيد من الحب والامتثال عجل ذلك في إنهاك مصادره العاطفية، ووضعه على شفا الاضطراب النفسي (Wolman, 1970, 193 - 210).

ج- ليدز

أما ليدز (Lidz) فقد تحدث عن فشل الزوجين في إقامة أسرة محورية «نووية» (Nuclear) من الناحية العاطفية. ففي هذه الأسرة يبقى أحد الزوجين أحدهما أو كلاهما في معظم الأحيان مرتبطا بطريقة طفلية بأسرته الأصلية، فالمفروض أنه عندما

يقدم فرد على الزواج فعليه أن يتجه بعواطفه إلى أسرته الجديدة ولكن البعض يظل مشتتا فى عواطفه بين أسرته الجديدة وأسرته الأصلية. كما تظهر فى شكل ٣ / ٣

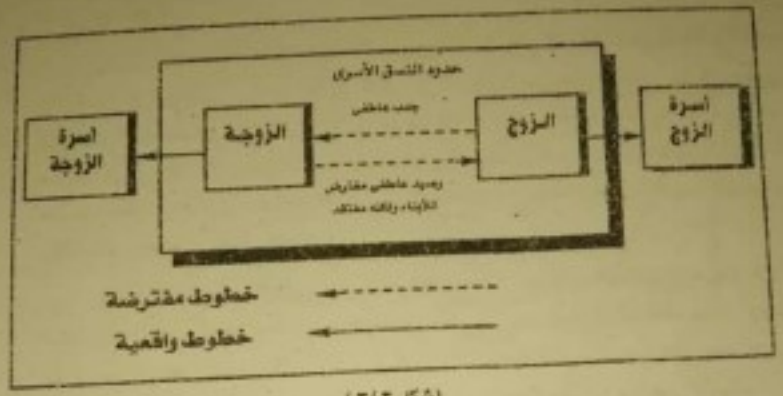

(شكل ٣/٣)

الفشل فى تكوين أسرة محورية «نووية» عاطفيا

رابعا: اضطراب عملية الاتصال اللغوى

(ليدز)

اللغة هى أداة الاتصال الأولى، وبها يعبر الفرد عن نفسه وعن طريقها يفهم ما يريده الآخرون. واللغة رمز جماعى متفق عليه من الجميع. ويتعلم الطفل اللغة فى الأسرة أولا، وهو نوع من التعلم يرتبط على نحو وثيق بالصحة النفسية للطفل؛ لان الطفل لا يتعلم اللغة كمفردات فقط، ولكنه يتعلم أشياء كثيرة من الطريقة التى تستخدم بها اللغة فى الأسرة.

ومما لا شك فيه أن هناك استخدامات للغة أقرب إلى عدم السواء. فقد يغلب على استخدام اللغة فى الأسرة المبالغة بالتهويل أو التهوين فى الوصف لإشباع حاجات معينة. وقد يغلب على هذا الاستخدام اعتبار اللغة وسيلة للتهرب من مواجهة المواقف. وقد يغلب على الاستخدام اعتبار اللغة أداة للتعبير غير المباشر عن العدوانية

تجاه الآخرين أو تجاه الذات. وقد تستخدم اللغة كعبارات ليس لها علاقة وثيقة بالواقع؛ لأنها ترتبط بعالم سحري يصنعه الفرد في خياله ويعيش فيه أكثر مما يعيش في الواقع. «بل إن من مظاهر التكوص في استخدام اللغة أن يستخدمها البعض باعتبارها الشيء نفسه وليست رمزا له أو بديلا عنه. وكثير من الناس يستخدمون اللغة والتعبير اللفظي كبديل عن العمل الفعلي في الواقع وهم غير واعين بهذا الاستبدال». (كفافي، ١٩٩٧، ٢٢٥).

وإذا كان للكبار دوافعهم التي تدفعهم إلى استخدام اللغة بشكل معين فإن الطفل ليس لديه نفس الدوافع، ولكنه سيتعلم هذه الأنماط من الاستخدامات غير السوية للغة التي وجدها أمامه. وتعلم الطفل لهذه الأنماط اللغوية يكون وسيلة فيما بعد للتعبير عن الحاجات العصابية التي يستشعرها في بعض المواقف فتكتمل صورة السلوك غير السوي.

أما «تيودور ليدز» (Theodor Lidz) فقد أكد ما سبق أن ذكرناه عن أهمية تعليم الطفل للغة في الأسرة، باعتبار أن اللغة أداة الاتصال مع الآخرين. ويرى «ليدز» أن تعليم اللغة يعكس أسلوب الأسرة في تربية الطفل وتنشئته. وقد تحدث «ليدز» كثيرا عن الضعف والمحدودية في القدرات اللغوية التي تمهد للانسحاب الرضي، والفصامي خاصة. ووضح كيف أن تشويه المعاني يمكن أن يكون أسلوبا يتعلمه الأطفال من آبائهم في الأسرة (Lidz, 1973, 120).

خامسا: صور أخرى من الاتصال الخاطئ في الأسرة

(ميرجاتروويد، وولف)

يورد «ميرجاتروويد، وولف» (Murgatroyed & Woolfe) صورتان أخرتان من الاتصال الخاطئ في الأسرة يسميان الأولى نمط «أنا أولا» (Me First) والثانية نمط «عدم الاستماع» (Unhearing). أما نمط «أنا أولا» فيشير ببساطة إلى تفضيل عضو الأسرة لصالحه الشخصي على حساب صالح الأعضاء الآخرين، فالأسرة تجمع يرتبط بروابط الدم أولا والمصالح ثانيا، وهي وحدة نفسية اجتماعية ولها أهداف مشتركة وتخوض تجارب مشتركة. وذلك لا يمنع من التباين بين الأعضاء الأسرة والخصوصية التي يرى كل عضو أنه ينبغي أن يتمتع بها والاحترام الذي يجب أن تناله مطالبه وحاجاته الشخصية. وأحيانا ما يحدث صراعا أو تعارضا بين «الجماعي» (Collective) و«الشخصي» (Personal) داخل الأسرة، مما ينعكس على أنماط الاتصال فيها. وفي الأسر السوية

وعى بهذا الصراع أو التعارض، ويمكن للأعضاء مواجهته باستبصار. ولكن بعض الأسر ليس لديها القدرة على أن تفعل ذلك وخاصة إذا ما حاول أحد أعضاء الأسرة على نحو فج أن يحقق لنفسه مصالح على حساب الأعضاء الآخرين، أو أن يحقق لنفسه الأمن على حساب تهديد أمن الآخرين وإفزاعهم.

وأما نمط «عدم الاستماع» ويمكن أن يسمى عدم الاتصال فهو إما أن يقابل أحد أفراد الأسرة بتجاهل، أو أن يقابل بسوء فهم، وسوء الفهم يحدث بدرجة أكبر من التكرار. وفى هذا النمط من الاتصال الخاطئ يفشل عضو الأسرة فى تبليغ أعضاء الأسرة الآخرين وخاصة الوالدين أفكاره ومشاعره وحاجاته ومطالبه. وفى هذا المجال يبدو أن الأسرة لا تريد أن تتواصل معه وتستمع إليه وتتجاوب مع توجهاته، مثل الطالب الذى يريد أن يتخصص فى دراسة معينة ولكن الوالدان يريدان له أن يتخصص فى دراسة أخرى، ومن هنا لا يكونان على استعداد للتفاهم معه أو حتى مناقشته فيما يريد أن يفعل وهما يتجاهلانه أو يبيتان فهمه فى هذا الموقف فقط، ولكنه عندما يتحدث معهم فى أى موضوع آخر فإنه يجد منهما تجاوبا كاملا.

القسم الرابع

الأنماط الوالدية فى الأسرة المولدة للمرض

أولا: الأنماط الوالدية فى الأسرة المولدة للمرض فى بيئات أجنبية:

لاحظ الباحثون والمعالجون منذ فترة طويلة اتصاف الآباء فى الأسرة التى بها أطفال أو أعضاء مرضى بصفات معينة. ودفعهم ذلك إلى التفكير فى إمكانية وجود «أنماط» معينة تميز الآباء فى الأسر المضطربة أو الأسر التى يصاب عادة أحد أبنائها. وتحدث ديفيد ليفى (David Levy, 1943) عن وجود سمة «الحماية الزائدة» (Over Protection) عند أمهات هذه الأسر.

كما ظهر مصطلح «الأم المنتجة للفصام» (Schizophrenogenic mother) فى كتابات «فريدا فروم ــ ريخمان» (Frieda Fromm - Reichmann) عام ١٩٤٨ ويشير إلى الأم التى لا تكون ذهانية ولكنها ترتبط بابنها على نحو يميلان فيه إلى أن يصبحا مضطربين انفعاليا. وهذه الأم تكون زائدة الحماية كما لاحظ ديفيد ليفى، وفى نفس الوقت تكون عدوانية مسيطرة نافذة وفوق ذلك كله فإنها تتسم بالبرود العاطفى ولا تشعر

هنا أشارت (دورين ١٩٨١) أن مهارة حسن المظهر ينبغي أن تتضمن في البرامج العلاجية والتدريبية .

أما البعد التواصلي الذي يتضمن **السلوك اللفظي وغير اللفظي** فقد كان موضع دراسة هو الآخر وكذلك الإدراك الاجتماعي الذي يتضمن مدى حسن التصرف والاستجابة الملائمة في الموقف المناسب .والسلوك اللفظي يتضمن جميع الاستجابات المميزة التي تحدد كيف يكون الشخص خلال المواقف الاجتماعية وأهم عناصرها محتوى الكلام ، ويختلف محتوى الكلام باختلاف الموقف فقد يكون الشخص في حالة دفاع عن نفسه (مهارة توكيدية) أو التحدث مع شخص آخر (مهارة المحادثة). و قد كشفت بعض الدراسات أن الأطفال ذوي صعوبات التعلم يستخدمون لغة أكثر تعقيداً عند التفاعل مع الأقران وأنهم يبدؤون الحديث بجمل تنافسية، وتنطوي على نوع من المفردات البذيئة ويعانون من صعوبات في التحدث . وأن المراهقين من ذوي صعوبات التعلم أقل كفاءة في تكوين الجمل وفي تعريف الكلمات واسترجاعها وأنهم أقل دقة في استجاباتهم للمثيرات اللفظية. (بريان ١٩٧٤، بريان ١٩٩٠)

أما التعبيرات غير اللفظية فتعني تلك المجموعة المتنوعة من الأشياء التي يفعلها الناس بأجسامهم أثناء الكلام مع بعضهم البعض ومنها المسافة بين الشخص والآخر أثناء الحديث والتعبيرات الحركية مثل الإشارات اليدوية وإيماءات الرأس والاتصال بالعين وتعبيرات الوجه وكذلك مظهر الشخص وجانبيته العامة .من أمثلة التعبيرات غير اللفظية المتضمنة في المهارات الاجتماعية والتي يمكن التدريب عليها :حسن المظهر واستمرار الاتصال بالعين والابتسام في الوقت المناسب وضبط توقيت الاستجابة .لقد أظهرت الدراسات (بريان ١٩٧٧ و دورين ١٩٨١) أن الأطفال ذوي صعوبات التعلم أقل دقة في

فهم السلوكيات غير اللفظية بالمقارنة مع الأطفال العاديين .كما أنهم أقل دقة في فهم التفاعلات الاجتماعية كما تعكسها درجاتهم على اختبار الاستدلال الاجتماعي.

٧-فئة المتفوقين من ذوي صعوبات التعلم:

هناك فئة من ذوي صعوبات التعلم من لديها قدرات فائقة انتبه إليها المختصون لأول مرة بجامعة "جونز هوبكنز "عام ١٩٨١،وظلت هذه الفئة خارج الخدمات التربوية التي تقدمها أقسام التربية الخاصة للأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة .

والمتفوقون عقلياً ذوو صعوبات التعلم هم أولئك الذين يملكون مواهب أو إمكانات عقلية غير عادية وبارزة،تمكنهم من تحقيق مستويات أداء عالية،ولكنهم يعانون من صعوبات نوعية في التعلم،تجعل بعض مظاهر التحصيل أو الانجاز الأكاديمي لديهم صعبة،وأداؤهم فيها منخفضاً انخفاضاً ملحوظاً.

أما خصائص هذه الفئة فتجمع كثير من الدراسات عليها كما أشار (الزيات،٢٠٠٠) وهي الآتية:

خصائص تحصيلية:

يظهر عند هذه الفئة أداء منخفض على الاختبارات، والمهارات الأساسية عندهم متوسطة ودون المتوسط، وأداؤهم للواجبات غير مكتمل كما يظهر لديهم التباعد أو الانحراف بين الاتصال أو التعبير الشفهي والمكتوب وضعف في المبادأة أو الاستثارة الأكاديمية .